الدرر المقدسية
منبر فلسطين للعلم والدعوة والتربية

مجلة الدرر المقدسية

مجلة دعوية تربوية، تصدر شهرياً عن مؤسسة الدرر المقدسيـة | العدد (45)-تشرين الثاني/نوفمبر2025م

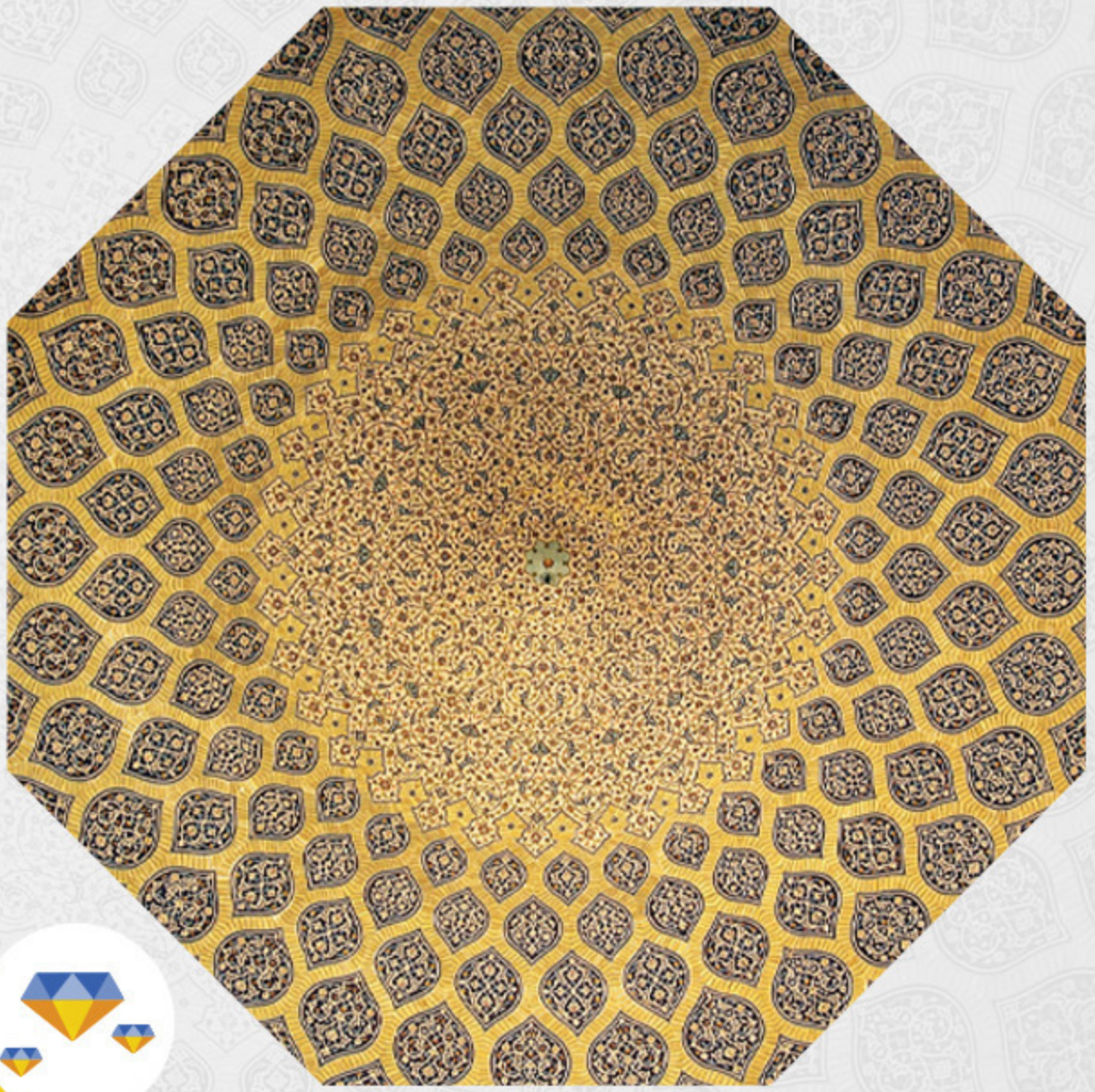

النُّزوح قَسِيمُ القَتْل ولا نَجَاة إلّا بالقِتَـال
د. بلال سلهب

العطاء سر البركة وبذرة الرحمة
أ. هاني قاسم

إعمار غزة... رسالة إيمانيـــة قبل أن تكون مشروعًا إنشائيًا
أ. توفيق أبو الرُّب

فلسطين أرض مباركة ووعد إلهي لا يسقط بالتقادم
أ. رزق زيتاوي

سُنَّة التداول وبشريات النصر
أ. علي الطرايرة

الفهرس

الفهـــــرس.....01

الافتتاحيـــة 02

النُّزوح قَسِيمُ القَتْل، ولا نَجَاة إلّا بالقِتَال، د. بلال سلهب.....03

إعمار غزة... رسالة إيمانية قبل أن تكون مشروعًا إنشائيًا، أ. توفيق أبو الرُّب.....06

سُنَّة التداول وبشريات النصر، أ. علي الطرايرة.....07

العطاء سر البركة وبذرة الرحمة، أ. هاني كامل الشيخ قاسم.....08

فلسطين أرض مباركة ووعد إلهي لا يسقط بالتقادم، أ. رزق زيتاوي.....10

نساء فلسطين.. حارسات الأرض والصبر، أ. نورة سفيان دار بدوان.....11

مَن يغرس شجرة لا يرحل، أ. أشرف وديع سعد 13

الاقتصاد المرابط.. ضرورة لابد من الحفاظ عليها، أ. أحمد يوسف ضميري.....14

الأرضُ المقدَّسة.. وواجب الثبات، أ. غيظان أبو خالد 16

قصيدة بعنوان (رُوحُ الأرْضِ ... جَمْرُ الرِّباطِ)، أ.حبيب شريدة.....17

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

قراء مجلتنا الكرام... شهر جديد وعدد جديد من مجلتكم (الدرر المقدسية) المتواصل نورها بمداد أقلامكم، وملاحظاتكم، نلتقي بكم في هذا العدد الجديد وقد وضعت حرب الإبادة ضد شعبنا في غزة أوزارها بعد عامين من القتل والتدمير، ونحن إذ نطل اليوم عليكم من خلال نافذتنا الشهرية هذه لنحمد الله على فضله وكرمه، ونشكره أن جعل النية الصالحة تتلاقى مع القضية العادلة، فيكون الإنفاق من أجل إعمار ما دمره الاحتلال عبادةً تجمع بين واجب الدين ونداء الضمير الإنساني. إنّ فلسطين اليوم وبالأخص غزة، بما تحمله من جراحٍ وصمودٍ وثباتٍ، لا تنادي فقط بالإعمار المادي، بل تدعو كلّ مؤمن أن يُجدّد عهده مع الله على البذل والعطاء، فيشارك في بناء ما تهدّم، وفي تضميد جراح أمةٍ ما زالت تقف شامخةً على أرضها رغم أنين الحصار ولهيب العدوان.

أيها الكرام والكريمات... إنّ الإنفاق في سبيل الله ليس مجرّد صدقةٍ عابرة، بل هو إحياء لروح الأمة، وتأكيد لرباطها الإيماني والأخوي، وإعمارٌ للأرض التي باركها الله في كتابه فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾.

إن هذه أرض مباركة، وأهلها المرابطون هم أمناءُ الأمة على ثغورها، يكتبون بدمائهم معنى الصبر والإيمان واليقين، ويذكّرون العالم أن الأرض حقٌّ لأهلها، وأنّ من أنفق لبنائها أو دافع عنها بماله أو فكره أو دعائه فقد شارك في جهادٍ ممدود الأجر عند الله، لذا فإننا في هذا العدد، نفتح صفحاتنا لنضيء معًا معنى العطاء في سبيل الله، ونتأمل في قيمته الإيمانية والاجتماعية، ونستعرض نماذج من صبر الشعب الفلسطيني وبذله، لنعيد إلى القلوب يقينها بأنّ الإعمار فريضة، والإنفاق عبادة، والأرض الفلسطينية حقٌّ لا يسقط بالتقادم. وشعارنا قوله تعالى: "وما أنفقتم من شيءٍ فهو يُخلِفُه، وهو خير الرازقين."

فلتكن أقلامنا وأموالنا وأدعيتنا جسورًا من النور تمتدّ من كل قلبٍ مؤمن إلى غزة الصامدة... أرض الرباط والكرامة.

النُّزوح قَسِيمُ القَتْل
ولا نَجَاة إلّا بالقِتَال

د. بلال سلهب
أستاذ الفقه وأصوله في الجامعة الإسلامية بماليزيا

الإخراجُ، التَّهجِير، النُّزُوح، مصطلحات ثلاثة تبدو مختلفة في الشكل، إلّا أنها تشترك في التعبير عن أحد الأفعال الإجرامية التي يمارسها الطُّغاة والمجرمون على مَرِّ العصور والأزمان، وفي إطار الحديث عن الصراع الأبدي بيْن الحق والباطل، فإنّ الطغاة والمجرمون يسعون دائمًا إلى القضاء على كل ما يمكن أنْ يُشكلَ تهديدًا لباطلهم وفسادهم وطغيانهم، وقد بيّن لنا القرآن الكريم ثالوث الإجرام (الأَسْرُ، القَتْلُ، الإخْراجُ) الذي يتوارثه الطغاة والمجرمون لإسكات صوت الحق وقمعه عند الحديث عن مَكْرِ طغاة قريش بالنبي محمد ﷺ، فقال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

وفي عصرنا الحاضر فإن الصهاينة المحتلين لأرض فلسطين يتبوؤون المرتبة الأولى في الإجرام بأدواته الثلاث، فقد أتوا على أرض لا حَقَّ لهم فيها، وقتلوا أهلها، وأسروا الآلاف منهم، وهجّروا الملايين ويسعون إلى إخراج من بقي مرابطًا فيها. فهدفهم إخراج الناس من ديارهم، وإحلالُ شُذَّاذِ الآفاق مِن الصهاينة بدلًا منهم، سعيًا لبناء هيكلهم المزعوم، وتشييد دولتهم التي لا ينازعهم فيها أحد.

والمتأمل في العديد مِن آيات وسور القرآن الكريم يجد أنّ سلاح القتل والإخراج مِن الديار بغير حق مُلازم لِسِيَر الطُّغاة والمجرمين عبرَ مَرِّ العصور والأزمان بالرغم عن النهي عنه في كافة الملل والأديان. ومما يُثير العجب أنّ هذا النهي أتى صراحة في سياق الحديث عن بني إسرائيل، فقد أخذ الله العهود الصريحة والمواثيق المغلظة منهم على ألّا يَقتُلَ بعضهم بعضًا، ولا يخرجون أنفسهم من ديارهم منذ زمن موسى عليه السلام -وكأنَّ هذا الفعل الإجرامي متأصل في نفوسهم منذ القدم- وها هم اليوم أكثرُ الناس قتلًا وإجرامًا وإخراجًا لأصحاب الحق في الأرض المقدسة من ديارهم بالإثم والعدوان مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

وإذا أردنا التركيز بشكل أكبر، فإنا نجد القرآن في كثير مِن المواضع يستخدم مصطلح "الإخراج" وتصريفاته للتعبير عن الحالة التي يضطر فيها الإنسان مُكرهًا إلى ترك بيته أو أرضه أو وطنه نتيجة لظلم وبَغي وعدوان وقع عليه، وهو باستقراء آيات القرآن الكريم إما أنْ يكون بقوَّة الطُّغاة المجرمين ظلمًا وعدوانا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾.

أو بسبب طغيانهم وتجبرهم وظلمهم مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾، وقوله تعالى في موضع آخر: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، وفي كلا الحالتين لا يَصدر هذا الفعل الإجرامي من القوة الظالمة الغاشمة إلّا وهي في قِمَّة ظلمها وطغيانها مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾.

الاستسلام للظلم والرِّضا به فيه الهلاك، ولا نجاة إلّا بالإعداد والمواجهة والقتال:

إنّ المنهج الذي أرسى قواعده القرآن الكريم، والطريق الذي خطّهُ لنا في التعامل مع قوى الظلم والبغي والطغيان هو طريق الإعداد والجهاد والمقاومة، فالإسلام دِين لا يرضى الذُّل ولا الهوان، ولا يقبل به، فلا سَلام مع المجرمين، ولا استسلام ولا خضوع لهم، ولكن هدنة تُلتقط فيها الأنفاس، وتُشحذ السيوف، وتُرَصُّ الصفوف، استعدادًا لجولات أخرى حتى يُقطع دابر القوم الذين ظلموا وبغوا وتجبروا، وترفع رايات الحق خفاقة فوق مآذن المسجد الأقصى المبارك، وربوع الأرض المقدسة.

وعلى الطرف الآخر، فإن ترك الإعداد والجهاد فيه الهلاك والذُّل والهوان بِنَصّ القرآن الكريم والسنة المطهرة، فعندما أراد الأنصار ترك الجهاد والتفرغ لمزارعهم وأموالهم ودنياهم نزل قول الله عزّ وجل: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أي بترك الجهاد والركون إلى الدنيا، ويُصَدِّقه قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: "إذا ضنَّ النَّاسُ بالدِّينـــارِ والدِّرهمِ، وتبايَعوا بالعِينةِ، وتبِعوا أذنابَ البقرِ، وتركوا الجِهادَ في سبيلِ اللهِ، أدخل اللهُ تعالى عليهِم ذُلًّا، لا يرفعُه عنهُم؛ حتَّى يُراجِعُوا دِينَهُمْ".

فطريق الجهاد والقتال أقصر الطرق لوقف القتل والإبادة والتشريد، فالعدو غاشِم طامِع، كلما تنازلتَ أو أظهرتَ له ضعفًا كلما تمادى في بغيه وظلمه وعدوانه، ولا سبيل إلى إيقاف أحلامه إلّا بحدّ السيف. والواقع الذي نعيشه في فلسطين خير شاهد على ذلك؛ فمنذ أنْ تَمّ توقيع اتفاقيات السلام المهينة مع العدو الصهيوني وهو يزيد في إجرامه وقتله وتهجيره واستيلائه على ما تبقى من أرض فلسطين، ورأينا في الوقت ذاته كيف كُسِرت شوكته، وَرُدَّ كيده، وأُفشِلَت مخططاته لإخراج أهل غزة من ديارهم عندما واجهوه بالثبات والصبر والقتال.

وكيف لا نُقاتِل مَن قاتَلَنا وأخرجَنا مِن ديارنا؟! فلا طائل مِن الحياة بعد ذلك، وبمنطِق القرآن فإنّ التهجير وإخراج الناس مِن بيوتهم وديارهم بمثابة إخراج الروح مِن الجسد، لذلك قَرَنَ القرآن بيْن القتل والإخراج مِن الديار بغير حق، فالإخراج مِن الديار قَسيمُ القَتل ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾.

ولا نجاة منهما إلّا بالقتال والمقاومة، وقد عبّر القرآن عن هذا المنطق بلسان بني إسرائيل فقال الله في محكم كتابه: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾، وقد أتى التوبيخ والعتاب والإنكار من الله عزّ وجل في القرآن الكريم على ترك الجهاد-والخطاب هنا لعامة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها- بعد تَعرُّض فئة مِن المسلمين للاستضعاف والظلم والعذاب -وأيُّ ظلم وعذاب أشد مما تعرض له أهل غزّة؟!- والله تعالى يقول: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾.

وعليه فإن الواجب المتعيّن لمجابهة خُطط العدو الصهيوني الغاصب الرامية إلى الاستيلاء على ما تبقى مِن أرض فلسطين، وإخراج أهلها منها بغير حق هو القتال حتى الرمق الأخير، فهذه أرض مباركة تَعرِفُ أهلها وتَلفِظُ غيرهم، فلا بقاء فيها لظالم، ولا حُصّة فيها لمحتل مهما طال الزمان، وأمر الله للمسلمين قائم أنْ: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾. ومن هنا فإن كل من ساند الصهاينة ووقف معهم وعاونهم وأمدّهم بأسباب البقاء وأبرم اتفاقيات السلام معهم فهو منهم وشريك لهم في القتل والتهجير، إذ إنّه لا يُعقَل أن تُصافح اليد التي امتدت إلى قتل إخوانك، ولا يقبل أن يُنقذ من سعى إلى إخراج أهلك، فإنّه عار في تقدير العقلاء، منهي عنه في شرع الله ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وقد جرت سنة الله في خلقه أنه إذا أمرَ عبادَه بأمر فإنه يُعِين عليه، وليس لنا سوى الانصياع والتسليم لأمر الله عزّ وجل، والصبر والمصابرة والمرابطة عليه مهما كان ثقيلًا، ومهما كان الثمن كبيرًا، فيقيننا بالله كبير، ووعده بنصر عباده المؤمنين والتمكين لهم متحقق لا محالة، كيف لا وقد تواترت الآيات في تمكين الله للمستضعفين من قبلنا عندما لبّوا نداءه، واستجابوا لأمره، وبذلوا مِن أجل ذلك الغالي والنفيس، فقد مَكَرَ كفار قريش بالنبي محمد ﷺ ليقتلوه أو يأسروه أو يخرجوه، إلّا أن مكر الله كان أكبر ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾. وإذا انقطعت أسباب الأرض فإن أسباب السماء موصولة لا تنقطع ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وعاقبة المجرمين الظالمين في كتاب الله واحدة، ومصيرهم إلى الهلاك والزوال، فمهما علا الصهاينة وطغوا وبغوا وتجبروا وقتلوا وهجّروا فإنهم هالكون لا محالة، زائلون عن أرضنا المباركة بلا ريب، هذه سنة الله مع الأنبياء السابقين، ومع نبينا ﷺ، ومع الصالحين من عباده وأوليائه، فالأرض المقدسة لنا بوعد الله، والمسجد الأقصى مسجدنا بأمر الله، فقد نصر الله الرسل ومكنهم وأسكنهم الأرض مِن بَعد الظالمين ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (13) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾، ونَصَرَ نبينا محمدًا ﷺ وأهلك الكافرين: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾.

والوعد قائم والتمكين قادم للطائفة المنصورة في الأرض المقدسة فقد ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. فستُحَرَّر فلسطين، وسَيُخرِجُ الأعزُّ منها الأذل، وسَيَعُود المهَجَّرون، وسنصلي في المسجد الأقصى، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

إعمار غـــــزة

رسالة إيمانية قبل أن تكون مشروعًا إنشائيًا

أ. توفيق يوسف أبو الرُّب
ماجستير الفقه وأصوله

في أفق الأيّام القادمة يلوح شتاءٌ بارد، يذكّرنا لا ببرودته فحسب، بل بحرارة الإيمان التي ينبغي أن تسري في أوصال الأمة. حين ينهدم بيتٌ وتُشرَّد عائلة، فذلك ليس شأنًا خاصًّا بأهله، بل هو وجعٌ عامّ يمسّ جسد الأمة بأسرها؛ كما قال النبي ﷺ:«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (متفق عليه)، هذا الحديث ليس مشهدًا بلاغيًا، بل منهج حياة. فحين يُهدم بيت أخيك ولا تتحرك لبناؤه، فاعلم أن في قلبك موضعًا للبرد لا للرحمة.

الإيمان الصادق لا يُقاس بكثرة الدعاء فقط، بل بمدى استجابتك لآلام الناس؛ ألم يقل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9]، فمن آوى ملهوفًا أو أعان في إعمار بيتٍ مهدوم، فقد أحيا سنّة من سنن الرحمة التي يحبها الله، ونال وعده: «من فرّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا، فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة» (رواه مسلم)، أما من أعرض وتبلّد قلبه أمام آهات الأرامل والأيتام في العراء، فليتذكر قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: 17–18]، فما بالك بمن لا يحضّ على مأوى يُدفئ أجسادًا تقهرها الرياح!

إن إعمار البيوت ليس بناءَ جدرانٍ فحسب، بل بناءُ أمانٍ في قلوبٍ مهدومة. هو ترجمة للإيمان إلى فعل، وللكلمة إلى طوبة، وللدعاء إلى مأوى.

وفي لحظة صدق، حين تمتد يدك لتعمّر، أو تتبرع لتؤوي، أو تواسي من فقد مأواه، فأنت تُعيد للإنسان معنى "الأخوّة" الذي كاد يضيع في زحمة الشعارات، فلتكن ذلك الجسد الذي إذا اشتكى بيتٌ منه، تداعى له بالسعي والبذل والإعمار، لا بالسهر على شاشات الأخبار، فالإيمان لا يُبنى بالكلام، بل يُسكن في بيتٍ يُعاد بناؤه من الرحمة

سُنَّة التداول وبشريات النصر

أ. علي الطرايرة
إمام وخطيب

إنَّ الصراع بين الحق والباطل كرٌّ وفرٌّ، لا يستقر فيه النصر الدائم لطرف إلا بتحقيقه مقتضيات هذا القانون. إنه القانون الذي قرره القرآن الكريم، وهو الإطار الذي يجب أن تُقرأ به الأحداث الكبرى. فالصراع ليس مجرد أحداث عسكرية؛ بل هو تجلٍّ حيٌّ لسُنَّة الله في التداول، وهي السنَّة التي تقتضي حركة دائمة من التمحيص والابتلاء والامتحان.

لقد وضَّحت الآيات الكريمة، بعد أحداث غزوة أُحد، أسرار هذه السنة ومقاصدها الحكيمة، وهي في سياق الحديث عن جراح الأمة والتراجع المؤقت: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران: 140].

هذه الآيات ليست مجرد تعزية؛ بل هي دستور التغيير والنصر. إنها ليست مجرد تقرير لحقيقة تاريخية، بل هي قاعدة كونية تضبط سير الأمم والصراعات وترسخ سنة التداول في موازين القوة والانتصار. وهذه الأرض المباركة التي صمد مرابطوها في وجه أعتى الآلات، تعد تجسيدًا حيًا لهذه السنة الإلهية وبشرى نصر لا يُقاس بالمكاسب الظاهرة فحسب، بل بالثبات والصمود والتضحية.

لهذه السنة الإلهية مقاصد يجب تحقيقها:

أولًا: "وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا"

المقصد الأول هو الامتحان والفرز. فالتداول لا يتم إلا بكشف حقائق النفوس. الشدائد هي المحك الذي يفرز الإيمان الصادق من الادعاء الزائف، ويتجسد هذا الفرز في الثبات والصبر على أشد صنوف الظلم. هذا الثبات ليس مجرد رد فعل؛ بل هو دليل عملي على قوة الإيمان ويقين داخلي لا يتزعزع. الابتلاء يكشف جوهر المعدن، ويميز المؤمن الذي يرى وعد الله خلف سحب الدخان، عن المتخاذل الذي يفتنه المشهد المؤقت.

ثانيًا: الاصطفاء والتكريم: "وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ"

المقصد الثاني هو الاصطفاء والشهادة. الشهداء هم قمم الإيمان وعنوان التضحية. إنهم وقود التغيير وبذور النصر القادم. الشهادة في الإسلام ليست نهاية مأساوية؛ بل هي اصطفاء إلهي واختيار كريم، يرتقي بالصابرين إلى منزلة عليا. فالدم المسفوك يتحول إلى طاقة دفع للمشروع الإيماني، ويثبت للأجيال أن هناك غاية أسمى من الحياة المادية، وهي الحرية والكرامة والانتصار للحق. هذه الدماء هي التي تضمن استمرار الذاكرة ورفض الهزيمة المعنوية.

ثالثًا: إعلان الموقف الإلهي: "وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ"

المقصد الثالث هو القطع مع الظلم وإعلان البراءة منه. هذه الجملة هي إعلان إلهي قاطع بأنَّ الظلم لا يمكن أن ينتصر انتصارًا مطلقًا أو يدوم. هي تأكيد على أنَّ الظالم -مهما طغى وتجبر- هو خارج دائرة محبة الله. هذا النفي للمحبة هو أشد عقوبة كونية، تعني أنَّ نهاية الظالم محتومة ولو بعد حين. وهذا المبدأ هو الضمانة المعنوية أنَّ كل الطغيان والقتل لن يمر بسلام، وأنَّ موازين العدل الإلهي ستتحقق في النهاية.

رابعًا: التطهير والمحق: "وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ"

المقصد الرابع والأخير هو التمحيص والمحق.

التمحيص للمؤمنين: هو التطهير من الذنوب والأخطاء، وتخليص الصفوف من الشوائب والنفاق، وتقوية الإرادة وتصفية المنهج. الابتلاء يصقل النفوس ويجعلها أهلًا للنصر والقيادة، **والمحق للكافرين (الظالمين):** هو الإهلاك والنزع التدريجي لبركة وجودهم وقوتهم، وتبديد مخططاتهم وتدمير كيانهم من الداخل. "المحق" يأتي غالبًا بعد "التمحيص"؛ إذ لا يُسلم الله النصر إلا لصفٍّ نقيٍّ مُمحَّص. الحرب تكشف هشاشة التحالفات الظالمة وتُسرّع من نهايتها الأخلاقية والسياسية.

إنَّ ما يحدث هو عملية تحوُّل جذرية لا تقتصر على بقعة محدودة فقط؛ بل هي تمحيص للمنطقة والعالم. فالمقاومة والصمود يؤديان وظيفة التمحيص؛ إذ يُظهران الصادق من الكاذب، والراغب في الحرية من الخانع للتبعية، وفي سنة التداول، النصر الحقيقي ليس مجرد انتصار عسكري عاجل؛ بل هو التمكين بعد التمحيص. إنه ثمرة الاستجابة لمقتضيات التداول: الثبات، والتضحية، والتطهر من العلل والوهن، والإيمان بأنَّ الله لا يحب الظالمين. هذه السنة تعلمنا أنَّ جولة الباطل -مهما طالت- هي مجرد مرحلة مؤقتة في سبيل التطهير وصولًا إلى مرحلة محق الكافرين وتمكين المؤمنين. إنها دعوة للثبات والعمل؛ لأنَّ قانون التداول يضع نهاية حتمية لكل ظلم.

العطاء سر البركة وبذرة الرحمة

أ. هاني كامل الشيخ قاسم
بكالوريوس دعوة وأصول دين

اللهم لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى، ولك الحمد على كل حال،ولك الحمد بكل نعمة أنعمتَ بها علينا، وإن تعدّوا نعمة الله لا تُحصوها. والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ، المبعوثِ رحمةً للعالمين، سيدِ المربين، وسيدِ الخلق أجمعين،زكّاه ربنا تعالى وزكّى رسالته فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾،فكانت رسالته هي الرحمة لكل مخلوقات الله بلا استثناء. وزكّاه ربنا جل وعلا بوصفٍ يليق بمقامه الكريم فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

إنّ الرحمة التي بُعث بها محمدٌ صلى الله عليه وسلم تقتضي أن يسودَ التآلفُ والتكاتفُ والتكافلُ بين الناس، فما من مجتمع يخلو من أصحاب حاجة، سواء كانت هذه الحاجة ماديةً أو ماليةً أو معنويةً أو غير ذلك. العطاءُ والبذلُ هما من صفات أنبياء الله تعالى، فقد كانوا عليهم السلام جميعًا يبذلون أموالهم وأوقاتهم وجهودهم وعلمهم في سبيل الله، ليصل ذلك إلى كل الناس، وإلى كل ذي حاجة،

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الإمام في العطاء والبذل، ويقتدي بهم أهل الكرم وأهل العلم وأهل التقوى والإيمان. ويرشدنا الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم إلى ثواب العطاء وأجره وجزائه، ويحثّنا على البذل في كل الجوانب مادية كانت أو معنوية، فما أعطانا الله تعالى إلا لنعطي. فالغني يُنفق من ماله في سبيل الله وللمحتاجين والفقراء، والعالم يعلّم الناس أمورَ دينهم ودنياهم بحسب علمه وتخصصه، وأصحابُ الجاه يسعون بين الناس لفضّ نزاعاتهم وخلافاتهم ومنع الخصومة بينهم، والقويّ يدفع عن الضعفاء أيَّ اعتداءٍ أو ظلمِ ظالم. فإنّ الله تعالى قد أعطى أناسًا ما لم يُعطِ غيرَهم، فليُبذلْ كلُّ مسلمٍ مما أعطاه الله، كلٌّ بحسب قدرته، فلا يكلّف الله نفسًا إلا وُسعها.

واعلمْ، أخي الحبيب، أن عطاءَك الذي أعطيتَ، وبذلك الذي بذلتَ، إنما هو ذُخرٌ لك تدّخره عند الله تعالى، ليجود عليك عند حاجتك، سواء كانت حاجتك في الدنيا أو في الآخرة، ولكن بأضعافٍ مضاعفة، فيبارك الله تعالى لك في مالك وعيالك وعلمك وعافية بدنك، أو يكفّ عنك شرًّا أو سوءًا أو بأسَ ظالم. وكثيرةٌ هي الآيات والأحاديث التي تبين ثواب العطاء، فالكلام يطول والمقام لا يتسع. قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

آيةٌ عظيمة، والقرآن كله عظيم، تُبيّن أن الإنفاق في سبيل الله يتضاعف أجره عند الله تعالى مئات الأضعاف، بل إنه سبحانه يُضاعف لمن يشاء. وهنا لفتةٌ جميلة لطيفة في هذه الآية، وهي مناط مضاعفة الأجر، فلماذا لم يَبْقَ الأمر ثابتًا بحسابٍ رياضيٍّ: واحد زائد واحد يساوي اثنين؟

أقول – وبالله التوفيق – إن مردَّ ذلك يعود إلى الحالة النفسية التي يكون عليها المنفق أو المعطي، فالانفعالات النفسية عند الناس تتفاوت من شخصٍ إلى آخر، فهذا يُنفق دينارًا في سبيل الله فتتلقّاه نفسه برضى واطمئنان، وآخر يُنفق دينارًا فيطير فرحًا بهذا الإنفاق، ويكون أسعدَ بإنفاقه منه عند حصوله على هذا الدينار. فالانفعال النفسي عند الاثنين مختلف، فيقتضي ثوابًا مختلفًا من الله العدل، وميزانه لا يظلم مثقالَ ذرة، والله يضاعف لمن يشاء. أما حبيبنا، حبيبُ الحق صلى الله عليه وسلم، فله أحاديثُ كثيرةٌ تحثّ على العطاء وتبيّن فضله، ومن هذه الأحاديث ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن نفّس عن مؤمنٍ كربةً من كُرَب الدنيا نفّس الله عنه كربةً من كُرَب يوم القيامة، ومن يسّر على مُعسرٍ يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مؤمنًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطّأ به عملُه لم يسرع به نسبُه» رواه مسلم.

في هذا الحديث الكريم قولُ الصادق المصدوق، وبُشرى لكل من يقضي حاجةَ مؤمنٍ أو يُفرّج عنه، أو يُنفّس عنه كربةً من كُرَب الدنيا ويحتسب ذلك عند الله، فإن الله تعالى يُنفّس عنه كربةً من كُرَب يوم القيامة. وما أحوجَنا، وما أحوجَ كلَّ مسلم، إلى ذلك في يوم الموقف العظيم، ويوم الحساب الأليم، نحتاج فيه إلى رحمة الله تعالى، فإن كان لنا رصيدٌ من صدقةٍ أو نفقةٍ أو كلمةِ حقٍّ أو موقفٍ يتقبله الله تعالى منا في ذلك اليوم، فذلك خيرٌ عظيم.

من هنا نفهم وندرك أن البذلَ والعطاءَ هو في حقيقة الأمر أخذٌ وادّخار، ولكنه ادّخارٌ عظيم عند الله تعالى، يرتدّ إلى المؤمن بحسب حاجته التي يعلمها الله تعالى ولا يعلمها المؤمن نفسه. وينبغي على المؤمن أن يعلم أن الصدقة لا تنقص المال، كما أخبر حبيبنا صلى الله عليه وسلم: «ما نقص مالٌ من صدقة»، فما تتصدق به لا ينقص مالك بل يزيده ويبارك فيه. وللعطاء والبذل آثارٌ كثيرة، أكاد أزعم أنها لا تُحصى، فهي تعود على الفرد والمجتمع بالخير العظيم العميم. فمن يُعطِ ممّا آتاه الله يشعر براحةٍ نفسيةٍ واطمئنان، ويشعر بمعيّة الله تعالى، فقد أطاع الله ورسوله الكريم، فلن يضيّعه الله. ويشعر بالرضا عن نفسه لأنه يقوم بدوره ويسدّ ثغرةً من ثغور الإسلام، وأنه عنصرٌ بناءٌ منتجٌ نافعٌ لنفسه ولغيره. وعلى صعيد المجتمع، فإن العطاء يعود بالخير على كل المسلمين، ويسود التآلف والتكافل بين الناس، فتذوب الحواجز بينهم، ويقلّ الحسدُ والحقد، وتتآلف قلوبهم، فالكلّ يساعد الكلّ، والكلّ في حاجة الكلّ، غنيّهم يعطي فقيرهم، وعالمهم يعلّم جاهلهم، ويكون بذلك المجتمعُ المسلمُ نموذجًا لكلّ البشرية، يبني حضارةً أركانها الرحمةُ والعدلُ والتكافلُ بين الناس.

فلسطين أرض مباركة ووعد إلهي لا يسقـــــط بالتقادم

أ. رزق موسى زيتاوي
معلم وخطيب

فلسطين ليست مجرد قطعة من الأرض، بل هي قلب الأمة النابض ومهوى أفئدة المؤمنين، ومسرى نبيّهم الكريم ﷺ، وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. إنها الأرض التي باركها الله في كتابه الكريم فقال سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: 1].

تلك البركة لم تكن في ترابها فقط، بل في تاريخها ورسالتها ومكانتها بين الأمم. فهي أرض الأنبياء والرسل، مرّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام، وسكنها يعقوب ويوسف، وبُعث فيها عيسى عليه السلام، ومنها عرج النبي محمد ﷺ إلى السماوات العُلا ليلة الإسراء والمعراج. إنها الأرض التي التقت فيها الرسالات السماوية، فصارت رمزًا للوحدة الإيمانية ومهدًا للحضارة والروح.

لقد ارتبطت فلسطين بالعقيدة الإسلامية ارتباطًا وثيقًا، فهي ليست قضية قومية أو سياسية فحسب، بل قضية إيمانية ووعدٌ ربانيٌ صادق. وعد الله بها عباده المؤمنين الصالحين، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105].

وهذا الوعد الإلهي لا يسقط بالتقادم، ولا يمكن أن يُلغيه ضعف أو احتلال، لأن كلام الله حقٌّ لا يتبدل ولا يتغير. قد تمرّ الأمة بسنوات من الابتلاء، وقد تضعف قواها المادية، لكن جذوة الإيمان تبقى متقدة في القلوب، تحمل الأمل في فجر جديد ونصر قريب.

إن فلسطين اليوم، رغم ما تعانيه من عدوانٍ واحتلالٍ وتشريد وقتل وأسر، ورغم أن ترابها رُوي بدماء أبطالها وقادتها في غزة والضفة، لا تزال صامدة بأهلها وأبطالها، يقدمون للعالم مثالًا نادرًا في الصبر والثبات والإيمان، مصداقًا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك". فما من بيتٍ فيها إلا ويدفع ضريبة الانتماء، وما من طفلٍ إلا ويحمل بين عينيه حكاية وطنٍ لا يُنسى. ومع كل جرحٍ جديد، يزداد الشعب الفلسطيني إصرارًا على البقاء والتمسك بحقّه في أرضه ومقدساته.

لقد حاول المحتلون طمس هوية هذه الأرض المباركة، وحرمان المسلمين من حقهم في المسجد الأقصى، لكنهم فشلوا في ذلك، لأن وعد الله أقوى من ظلمهم، وإرادة المؤمنين أعظم من جبروتهم. وما دام في الأمة من يرفع راية "لا إله إلا الله"، فلن تُنسى فلسطين، ولن يُنسى الأقصى، وسيبقى الوعد الإلهي بالنصر قائمًا حتى يتحقق. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: 9].

واسألوا التاريخ يحدّثكم عن الصليبيين كم طال احتلالهم لهذه الأرض، ثم جاءت حطين ومعها ثلة مؤمنة بقيادة صلاح الدين أنهت سنين القهر وأعادت الأقصى إلى حِمَى الإسلام. ثم سلوه عن التتار وكيف وقف المظفر قطز وسط جيشه في عين جالوت وصاح فيهم: "واإسلاماه!" فكانت الغلبة له ولجيشه، وهذا كله ببركة هذه الأرض.

وما زالت بركات هذه الأرض تتجلى في هذا الطوفان المبارك الذي أحيا في الأمة روح الجهاد وحب التضحية، فوحّد الله به كلمة المسلمين وأعاد الحياة لهذه القضية المباركة والأرض المباركة. فهذا الطوفان هو امتداد لوعد الله تعالى لعباده المؤمنين بالنصر والتمكين، ووعده لا يسقط بمرور السنين، بل يزداد يقينًا في القلوب الصادقة.

إن فلسطين ليست مجرد أرضٍ مباركة، بل رمز للإيمان والثبات والصبر ومهوى لأفئدة المؤمنين، هي خيرة الله من أرضه. إنها وعد إلهي خالد، سيبقى ما بقي في هذه الأمة من يقول: "الله أكبر"، ويضحي بنفسه وماله وولده. وسيرى العالم يومًا قريبًا بإذن الله أن الباطل زائلٌ لا محالة، وأن الحق باقٍ لا يزول، وسترتفع الأصوات بترديد آيات الله تعالى وسنردد: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81]. وسيكتب التاريخ بمداد من نور أن الله تعالى بارك ورفع قدر كل من ضحى ويضحي لأجل أن تبقى فلسطين إسلامية مباركة.

نساء فلسطين.. حارسات الأرض والصبر

أ. نورة سفيان دار بدوان
بكالوريوس في الفقه والتشريع

الحمد لله الذي جعل الصبر طريقًا للثبات، والجهاد في سبيله سببًا لرفعة الدرجات، وجعل المرأة شريكة في صيانة الأرض والدين، وأمر بالرباط والثبات والدعوة إلى الحق. والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، رسول الله الذي بفضله يزهر الإيمان، ويُكتب الصابرون والمجاهدون في سبيل الله من أعلى الدرجات.

منذ احتلال فلسطين، تولّد ثغرٌ جديد يهدد الأمة الإسلامية، فالرباط عبادة متجددة ترفع صاحبها في مدارج الإيمان، إذ يجمع بين صدق النية وعظم الغاية، وتحمل الأذى في سبيل الله. هذه المقامات العالية لا يُدرِكها إلا من أدرك عظمة الثغر، ومن باع دنياه لله وارتضى أن يكون حارسًا. فالرباط عبادة عظيمة، تجمع بين المقام الإيماني والموقف الجهادي، ولا يقوم على هذا الثغر إلا من استشعر وعظّم في قلبه قدر الأجر، وصدق التوجه. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فجعل الرباط ذروة مدارج الفلاح، مقرونًا بالصبر والمصابرة والتقوى.

لقد كانت المرأة المسلمة ولا تزال شريكة في ميادين العز والتمكين، ولها في الرباط والاعتكاف والدفاع عن المقدسات سجل مشرّف يضيء صفحات التاريخ. وفلسطين، وعلى وجه الخصوص المسجد الأقصى – أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم – محطٌّ للفتن والابتلاءات، وساحة لصراع الإرادات في زمن التواطؤ والصمت والخذلان. وهنا، أصبحت المرأة المرابطة شارة الحق، تذود عن أقصاها بوجودها، بعلمها، بصوتها، بصبرها وحضورها، فكان لرباط النساء فيه شأن عظيم.

قال ابن مرزوق التلمساني: "الرباط عبارة عن احتباس النفس في الجهاد والحراسة، فهو من أفضل الطاعات وأجل القربات التي يدفع الله بها عن المسلمين الشرور الكثيرة، وتتحقق بها المصالح العظيمة".

وقال ابن النحاس في كتابه: "الحراسة في سبيل الله هي أفضل أنواع الرباط، وكل من حرس المسلمين في موضع يخشى عليهم فيه من العدو فهو مرابط، فللحارس في سبيل الله أجر المرابط وفضائل كثيرة". وقال في فتح الباري: "الرباط هو ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار وحراسة المسلمين منهم".

وقد وردت في فضله نصوص كثيرة من القرآن والسنة تبين عظيم أجره ورفيع منزلته، قال الحق عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فقد قرن الله بينه وبين الجهاد، حتى عُدّ من أعظم القربات وأجل الطاعات، لما فيه من نفع متعدٍ واستمرار في الثبات في مواطن الخطر، وحراسة الثغور، ودرء العدوان عن ديار المسلمين، مما يجعله من الواجبات الكفائية عند تحقق شروطه.

في زمن اشتدت فيه الهجمة على المسجد الأقصى وتكالب عليه الأعداء، كان لزامًا على الأمة الإسلامية، رجالها ونسائها، الوقوف على ثغورها، والاضطلاع بمسؤوليتها تجاه هذا الثغر العظيم، امتثالًا لقوله صلى الله عليه وسلم: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها".

ومن الدواعي التي تحتم على النساء الرباط في الأقصى: جوانب شرعية، وواقعية، وإعلامية، وتاريخية، وجهادية. فالحالة المقدسية اليوم تتلخص بما يتعرض له المسجد الأقصى من اقتحامات وتدنيس من المستوطنين، وما يتعرض له المقدسيون من التنكيل والتغييب القسري وإبعادهم عنه.

فهذا يستدعي ضرورة تواجد المرأة للرباط فيه. قالت عائشة رضي الله عنها: "النساء شقائق الرجال"، ولأن الحراسة رباط والرباط من توابع الجهاد، والمسجد الأقصى من الثغور العظيمة، التي يخشى منها العدو بأرض الإسلام، ومن الثغور التي تعد أشد خوفًا وكَلَبًا.

وفي ظل غياب الرجال نتيجة الاعتقالات والسياسات الاحتلالية الممنهجة لتفريغ المسجد من المرابطين، صار وجود المرابطات ضرورة شرعية قصوى لصد الاقتحامات وسد الفراغ، ونشر الوعي التربوي والإيماني.

ولأن المسجد الأقصى يتطلب النفير العام عند هجوم العدو على كل القادرين رجالًا ونساءً، يتعين على النساء كما الرجال الرباط فيه، فتواجد المرابطات في الوقت الذي تعذّر دخول الرجال قسرًا صار ضرورة وشرعية قصوى في صد الاقتحامات وسد الخلل والفراغ الذي أحدثه الاحتلال في ذروة الاقتحامات، وتواجدهن له دور كبير وفعال في صد الاقتحامات، ونشر الوعي التربوي والإيماني.

في غزة، حيث ينهش الحصار الشوارع والبيوت، وتتابع القصف، تظهر المرأة الفلسطينية حامية الحمى صابرة محتسبة. فكل امرأة تقوم بالدور التربوي والديني، وتحرس الأرض، وتزرع الأمل في القلوب، ويصدحن النساء بصوت الحق في وجه العدوان. إنهن صانعات الصمود، حاملات الرباط، مرابطات في سبيل الله، نساء غزة: حارسات الصبر في زمن الطوفان. لم يكن دور المرأة مختفيًا في الحرب، بل كانت في عمق المواجهة، في بيتها، ومدرستها، وميدانها، هي التي تواسي الجرحى، وتُعلّم أبناءها الثبات، وتعدّ جيلًا يتعاهد القرآن ويتوارثون الثغور ليكونوا في ميادين الجهاد.

في طوفان الأقصى تجسدت مشاهد، فحين تدكّ الطائرات البيوت، تخرج من تحت الركام مؤمنة بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، صابرة محتسبة، فكانت تبايع الله في نفسها وبيتها وأولادها وكل ما تملك فداءً لله ورسوله ونصرة للإسلام والمسجد الأقصى. وتلك الصفقة مربحة، وجسدت المرأة صبرها وتلك التجارة لما جاء في سورة الصف: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ *﴾ [الصف: 10-13].

فالمرأة الغزية ما زالت تجسد معنى الصبر الحقيقي والإباء والحراسة، وتثبت أن غزة باقية رغم الحروب، وتجسد ذلك بقاء أكثر نساء غزة في الشمال وعدم نزوحهن. قال ابن مرزوق التلمساني: "الرباط عبارة عن احتباس النفس في الجهاد والحراسة". وقال الشيخ الرصاع رحمه الله تعالى: "الرباط المقام حيث يخشى العدو بأرض الإسلام لدفعه"، وزاد عن الباجي: "ولو بتكثير السواد". وعرّفه ابن تيمية بأنه: "المقام بمكان يخيفه العدو ويخيف العدو، فمن أقام فيه بنية دفع العدو فهو مرابط والأعمال بالنيات". وعرّفه ابن عاشور بأنه: "رَبْطُ الخيل للحراسة في غير الجهاد خشية أن يفجأهم العدو". فبقاؤها وعدم نزوحها وصبرها على فقد ملذات وأساسيات الحياة، وفقد أبنائهن وأسرهن وحراستها لأرضها، ذلك بمقام جهاد الدفع.

في مدن الضفة وقراها، حيث يشتد الحصار وتُغلق الطرق، تبقى المرأة الفلسطينية حارسة الأرض برباطها وجهادها، تجمع بين الحراسة الميدانية والفكرية، فتكون في الميدان حضورًا وصبرًا وإغاثة، وفي البيت والتربية وعيًا وإيمانًا وثباتًا. تجاهد بنفسها في الثبات على الحق، وبيدها في خدمة الميدان ومساندة المرابطين، وبمالها في الإنفاق والإعانة، وبلسانها في الدعوة والإصلاح ورفع الكلمة الطيبة، فهي تؤدي واجبها الشرعي في حفظ الأرض والعرض والدين، وتجسد صورة الرباط الحق في ميادينه كلها، لتثبت أن المرأة في الضفة ليست شاهدة على الصمود فحسب، بل شريكة في صناعته وحارسة لثغوره بوعيها وعملها ورباطها في سبيل الله وحراستها وجهادها ميدانيًا.

فتواجد المرأة الفلسطينية في ميادين العز وفي ساحات المسجد الأقصى والضفة وغزة من خلال رباطها وتصديها لهجمات المستوطنين، وتشبثها بأرضها، وتوثيقها إعلاميًا لما يحدث، يجسد الصورة الحية للمرأة المسلمة المرابطة المدافعة عن أرضها ومقدساتها. ويعزز هذا الوعي الإسلامي ويستنهض الأمة للعودة إلى رشدها، ويلهم الأجيال الصاعدة بقيمة الدفاع عن المقدسات، من خلال القدوة النسائية المؤمنة المرابطة الصابرة. ورباط النساء اليوم برز في مشهد العز والإباء والنّصرة، لقد جسّدن معنى قوله تعالى: ﴿وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

على أرض فلسطين المباركة، من غزة المحاصرة إلى الضفة، وصولًا إلى القدس والمسجد الأقصى الشريف، تقف المرأة الفلسطينية شامخة حارسة، مرابطة على الأرض، صابرة محتسبة. إنها ليست مجرد امرأة، بل رمز حي للثبات، وجدار منيع ضد الظلم، وشعلة نور للأجيال القادمة.

مَن يغرس شجرة لا يرحل

أ. أشرف وديع سعد
ماجستير أصول الدين، إمام وخطيب

الحمد لله رب العالمين، ناصر المستضعفين، وولي المتقين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 24-27]، لقد كانت الشجرة في القرآن الكريم مثلًا يضربه الله، إما للثبات والبركة، وإما للخبث والوهن في المقابل.

فمن تعلقت روحه بربه، وكان لسانه ذاكرًا لله، وقلبه متعلقًا به، يحب موطنه الذي اختاره الله له، فإن أكثر ما يربطه بأرضه هي الشجرة. عاش معها ذكرياته، يسقيها في الحر، ويعتني بها، ويحرسها، فهي تعزز وجوده، وهي مباركة كالتين والزيتون، إذ أقسم الله بهما لعظم شأنهما: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾، وإذ بأعداء الإنسانية إن أرادوا أن ينزعوا منا حبنا وتعلقنا بأرضنا المقدسة، فإن أول ما يقتلعونه ويمنعوننا منه هو هذه الشجرة، وقطف ثمارها الطيبة، التي لنا معها قصص وحكايات ولحظات عابرة وتأملات جميلة قد حُفرت في الوجدان والأذهان، في المقابل، الشجرة الخبيثة التي تُجتث من فوق الأرض ولا رسوخ لها، هي عارضة في طريق البشر، لا ثمرة منها، ولا يُستظل بظلها، وهي طارئة لا يرغبها الناس، لا يأكل من ثمرها المُر إلا الغراب، ولا يستظل بظلها إلا الثعالب الضالة والذئاب، حتى يقول الناس عنها ما قاله الشاعر في الجاهلية:

لا أذودُ الطيرَ عَن شَجَرٍ... سُقِيَت بِالمَرِّ مِن ثَمَرِه!

وهو حال المحتلين المستعمرين اليوم؛ فمهما حاولوا زرع كيانهم على رقابنا وحقوقنا وفي تراب قد روته دماء الشهداء الزكية، إلا أن الأرض تلفظهم ولا ترضى بهم.

ولما قيل لأحد الحكماء عن حال هذا المحتل وسارق الأرض أنه يتمدد بسرعة، أجابهم بهذه الآية، ممثلًا بمثلٍ حسي واقعي قائلًا: "كم يحتاج شجر السرو الذي ينبت في ربوع بلادنا دون دون عناية من أحد، ويتحمل برد الشتاء وحر الصيف، وينمو بين الصخور العاتية، حتى يشتد عوده؟"

فرد المسؤول قائلًا: "سنين طويلة، ما أطولها!" فقال الحكيم: "أرأيت لو أنك زرعت بجانبه شجرة متسلقة مروية ويُعتنى بها، كم تحتاج لوقت حتى تلتف على شجرة السرو وتعلُو فوقها؟"

فقال المسؤول: "بضعة أشهر تكون قد التفت على السروة، وعلى ما بجانبها كذلك".

فقال الحكيم: "أرأيت لو جاءت عاصفة وريح عاتية، من الذي سيصمد؟" فرد المسؤول قائلًا: "طبعًا سيبقى السرو، وتتطاير وتتساقط النباتات المتعلقة!"

فقال الحكيم: "الأمة إذا توحّدت، والشعوب إذا تكاتفت، فحالها كحال شجر السرو، والمحتل والمستعمر مهما استعلى فهو كالشجر المتسلق يهوي مع أي صحوة ونهضة للأمة".

فلذلك حثنا المصطفى ﷺ على زراعة النبتة الطيبة حتى لو قامت الساعة بقوله: "إن قامتِ السَّاعةُ وفي يدِ أحدِكم فسيلةٌ، فإن استطاعَ أن لا تقومَ حتَّى يغرِسَها فليغرِسْها". فاختيار ذلك الأمر في آخر يوم في الدنيا، لعظم أمره.

أما نحن الذين خلقنا الله على هذه الأرض المباركة فقد قال فيها: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ووصى النبي ﷺ بسكنى الشام: "عليك بالشام فإنها خيرة الله في أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده". (رواه أبو داود وأحمد بسند صحيح).

نحن على هذه الأرض المباركة شجرة راسخة باسقة، ثمرها للطائعين، وشوكها للطامعين. ونحن كالشجر، إن رماها المُحبون بالحجر تساقطت بالثمر، وإن رماها العدو بالحجر رجمته بالشوك الأمَرّ.

شجرة طيبة، حنينها لأرض قد حملتها واحتضنتها وحمتها من كل طير جارح، ومن كل مرض جامح. قد كتب الله لها الثبات رغم الرياح العاتية، والحرارة العالية، والسيول الهامية. هي مغزى لكل مقارع للمحتلين، ومقبرة للغاضبين، فكانت بلادنا البلاد الطيبة، ومَن غزاها فهو الخَبَثُ المُجتَثُّ الذي لا قرار له: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾.

ونسأل الله الثبات حتى الممات، وأن نكون كالشجرة الطيبة التي لا ينقطع خيرها عن الطيبين، ولا ينعدم ظلها عن السائرين.

الاقتصاد المرابط

ضرورة لابد من الحفاظ عليها

أ. أحمد يوسف ضميري
إمام وخطيب

عند البحث عن عنوان الاقتصاد المرابط في الذكاء الاصطناعي أو محركات البحث الاجتماعي فإن النتائج التي تخرج لك تحدثك عن الاقتصاد المرابطي، الذي يشير إلى اقتصاد الدولة المرابطية (1040-1147م) التي سيطرت على طرق التجارة الصحراوية وشملت المغرب والأندلس!!

إنما التعريف الحقيقي لها بعيد عن ذلك...

فالاقتصاد المرابط، يقصد به: الأنشطة الاقتصادية من تجارة وزراعة وصناعة للبلد المرابطة (التي تقع تحت الاحتلال المباشر من قبل العدو، أو أنها على حدود العدو) وتتعرض إلى هجمات منه.

وهو موضوع لا يتم التطرق إليه بكثرة، لذلك سأتحدث عنه بإيجاز؛ أرسي به قواعد الموضوع.

إن الرابط يحقق لصاحبه الأجر العظيم ودليل ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه (2892) من قول النبي ﷺ : "رِبَاطُ يَومٍ في سَبيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا، ومَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا". والرباط لا يعني فقط الجلوس صامتاً أو حارساً على الحدود، بل يمتد الرباط وأجره إلى نشاط كل انسان من تجارة وصناعة وزراعة في بلد الرباط.

فإذا كان نشاط الانسان اليومي العادي له فيه أجر، لما أخرجه البخاري في صحيحه من قول النبي ﷺ : "إنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بهَا وجْهَ اللَّهِ إلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حتَّى ما تَجْعَلُ في فَمِ امْرَأَتِكَ". فما بالك بنشاط الإنسان المرابط الذي يعاني من منغصات الاحتلال ومضايقاته. فلابد أن يكون أجره أعظم من أجر الانسان العادي؛ فالأجر على قدر المشقة كما أشار النبي ﷺ إلى ذلك.

بل والذي يتمعن في معاني الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، سيجد أن الاقتصاد المرابط نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله، فقد قال الله تعالى: } ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ{ (سورة التوبة: 120).

فالاقتصاد في بلد مرابط يتعرض للتدمير والتضييق، كإغلاق الاحتلال للمحلات التجارية وقصفها ومراقبتها، ففي النشاط الصناعي: يضيق الاحتلال على التجار استيراد المواد الخام أو تصدير صناعاتهم، وفي الزراعة: تتمثل اعتداءات الاحتلال بالتحكم في المياه وما يستخرج من الآبار، والاعتداء على الشجر، وهذا ما نشهده اليوم من اعتداءات كثيرة للمستوطنين على شجرة الزيتون من سرقة لشجره أو ثمرته أو حرق شجره. ناهيك عن شهداء لقمة العيش، الذين يلقون حتفهم وهم ذاهبون للعمل أو في عملهم بسبب الاحتلال.

وفي الحروب يسعى الاحتلال إلى سحق الحياة الاقتصادية في البلد المرابط؛ لأنه المقوم الأساس للإنسان المرابط، فمن دون اقتصاد يصبح الرباط معجزة. وهذا ما يحدث وحدث في غزة أكبر مثال لذلك، فقد كُتب في موقع "الجزيرة نت" مقالاً جاء فيه: "تكبد اقتصاد قطاع غزة خسائر فادحة خلال العامين الماضيين، قدرها المكتب الإعلامي الحكومي في غزة بنحو 70 مليار دولار، وهي فقط الخسائر المباشرة الأولية لـ15 قطاعا حيويا. وأوضح تقرير سابق صادر عن المكتب الإعلامي الحكومي في غزة أن نحو 90% من البنية التحتية في القطاع دُمّرت بعد مرور 700 يوم على الحرب المستمرة. ولحق الدمار بمختلف القطاعات الاقتصادية".

لذلك فإن دعم المرابطين ودعم اقتصادهم واجب وضرورة دينية؛ للحفاظ على رباطهم، وللحفاظ على إسلامية هذه الأرض المباركة التي يرابطون عليها. ودليله ما أخرجه أبو داود في سننه (457) عن ميمونة مولاة النبي ﷺ أنها قالت: "يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس؟ فقال: ائتوه فصلوا فيه وكانت البلاد إذ ذاك حربا فإن لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج في قناديله".

وهو أمر نبوي أُعطيَ لمن لا يستطيع الوصول إلى بيت المقدس للصلاة فيه. و"الإسراج" هو إيقاد السراج (المصباح أو القنديل) بالزيت. فهذا أول واجب ينبغي على المسلمين الحرص عليه، وهو الدعم والتبرع لأهل فلسطين. والأكمل أجراً تخصيص الأغنياء من المسلمين مبلغاً شهرياً لدعم فلسطين والقدس وأهلها. وعليهم أيضاً الاعتناء بفتح المشاريع ذات رأس المال الكبير، ويفضل أن تكون شركات مساهمة عامة ولا يقصد الربح منها كهدف أساس، إنما القصد هو تشغيل أكبر عدد من الفلسطينيين، وتقديم بضاعة ذات جودة عالية، والاستغناء عن مشاريع الاحتلال.

كما ينبغي عمل صناديق ائتمانية مربوطة بالخارج، ومشاركة أصحاب المشاريع الكبيرة والمتوسطة فيها؛ لتعويضهم عن أي اعتداء أو كارثة أو مصادرة أموال تحصل لهم من قبل الاحتلال، ومع ذلك، يجب التنبيه إلى نقطة مهمة، أن ليس كل اقتصاد في أرض الرباط، هو اقتصاد مرابط يثاب عليه صاحبه. فالعمل بالمنكرات والمحرمات، أو الغش أو الغبن أو اللعب في الميزان، سلوكياتٌ تخرج عمل صاحبها من أجر الرباط. ومن المواضيع التي تحدث فيها كثير من الفقهاء وهي تندرج تحت عنوان الاقتصاد المرابط، هو "الاتجار مع الحربيين".

فقد أفتى الفقهاء –كما جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية- بجواز الاتجار مع الحربيين (مع الاحتلال)، شريطة: عدم جواز إمدادهم (أي: المحاربين) بما يقويهم من السلاح والآلات والمواد التي يصنع منها السلاح، كما لا يجوز بيع الأرض للحربيين فهي أرض رباط ووقف، وأيضاً لا يجوز السماح بالاتجار بالمحظورات الشرعية كالخمور والخنازير وسائر المنكرات، لأنها مفاسد ممنوعة شرعا.

فعلينا أن نحافظ على اقتصاد المرابطين، لاسيما في فلسطين، فهذا امتحانٌ علينا النجاح فيه. قال تعالى:(قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (سورة الأعراف:129).

الأرضُ المقدَّسة.. وواجب الثبات

أ. غيظان أبو خالد
إمام وخطيب، / ماجستير دعوة إسلامية

بِسْمِ اللهِ، والحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله ﷺ.

عن كثيرٍ من الكلام يُغني قولُ الرسول ﷺ: «يا طوبَى للشَّام، يا طوبَى للشَّام، يا طوبَى للشَّام! تلك ملائكةُ الله باسِطَةٌ أجنحتَها على الشَّام». تلك هي أرضُ الأنبياء فيها سبَّح الطيرُ والجبالُ مع داود، وسُخِّرتِ الريحُ والجنُّ مع سليمان، ورُزِقت فيها مريمُ فاكهةَ الشتاء في الصيف، وفاكهةَ الصيف في الشتاء. هي الأرضُ المقدَّسة، ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾، وهي الأرضُ المباركة، ﴿وَنَجَّيْنَا لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾، فاضت بركتُها على مَن حولَها، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾. كلُّ نبيٍّ في زمانِه، كانت القدسُ من مسؤولياتِه، وكانت لمن تبع دينَ الله وقام بشرعِه وحكم بحكمه. ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. ولأمرٍ ما أراد الله أن تلتقي السماءُ بالأرض في تلك البقعة المباركة، وقف النبيُّ ﷺ إمامًا بالأنبياء في مشهدٍ عظيمٍ لا يتكرَّر، وكأنَّ الله جل وعلا يقول: يا محمدُ، قد سلَّمناك قيادةَ الأرض! تلك الإمامةُ جزءٌ من تكوين مفهومِنا الإسلامي، فقد عرج النبي ﷺ إلى السماء من المسجد الأقصى، ليصبح الأقصى قضيةً متمركزةً في عمق عقيدتِنا، ومِن موروثاتنا والأماناتِ التي تلقيناها كابرًا عن كابر، مِن رسولِ الله ﷺ.

أرسل النبيُّ ﷺ إليها أربعةَ جيوشٍ وتاقت قلوبُ الصحابة لضَمِّها تحت راية الإسلام، ولم تُفتحِ القدسُ في عهد النبي ﷺ لتَعْلَمَ الأمةُ أنَّها مسؤولةٌ عن المسجد الأقصى كما كان نبيُّها ﷺ، وأنَّ المسؤولية ممتدة في أعناق الأمة جيلاً بعد جيل.

فرحل الصحابة إلى بلاد الشام لما سمعوا وصية الرسول عليه الصلاة والسلام: «وإن أفضل رباطكم عسقلان». ودُفن فيها أكثرُ من خمسين ألفَ صحابي، انتشروا يُبلِّغون دينَ الله. وفيها مدافنُ التابعين كالأوزاعيّ، والثوريّ، والزُّهريّ، والمقدسيّ.

قال الشافعيُّ رحمه الله: «واللهِ إنِّي لأحبُّ الاعتكافَ في المسجد الأقصى»، فقيل له: أليست مكَّةُ أفضل؟ قال: «أعلمُ، ولكني أريد أن أستشعر وجودَ الأنبياء مجتمعين». وقال مقاتلُ بنُ سليمان: «ما فيها موضعُ شبرٍ إلا وقد صلَّى فيه نبيٌّ مُرسَلٌ أو مَلَكٌ مُكرَّم».

ومهما كان لا تستطيعُ قوَّةٌ في الأرض مهما بلغت أن تُغيِّر آيةً من كتاب الله، وستظلُّ سورةُ الإسراء تُقرأ في المحاريب والمنابر، آياتها تهمس فينا: "اثبتوا، فأنتم الوارثون"؛ فالثباتُ على هذه الأرض ثباتٌ على العقيدة، وحفاظٌ على ميراثِ الأنبياء.

رُوحُ الأرْضِ ... جَمْرُ الرِّباطِ

أ. حبيب شريدة
شاعر وأديب

أَتَظُنُّـــــــــنِي طِيناً وَجُدْرَانا
وَكُنُوزَ آثَارٍ مُؤَثَّلَـــــــــــةٍ
أَنَا رُوحُ هذِي الْأَرْضِ قَدْ رُبِطَتْ
أَنَا مَهْدُ أَدْيَـــانِ اَلسَّمَاءِ سَنىً
آمَنْـــــــتُ بِالْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ
وَحَفِظْـــــتُ أَسْرَارَ الشَّرَائِعِ فِي
شُرِّفْـــــــتُ بِالْإِسْرَاءِ مَنْزِلَةً
صَلّى بِسَاحِي الْأَنْبِيَـــاءُ عَلى
وَافَانِيَ الْفَـــــارُوقُ مُسْتَلِماً
مُطَّهَّراً مِنْ رِجْـــسِ مَنْ عَبَرُوا
عَاثَ الصَّلِيبِيُّـــونَ بِي وَعَتَوْا
فَجَلَا صَـــلَاحُ الدِّينِ غُمَّتَهُمْ
وَجَمَعْتُ أَشْتَـــاتَ الطَّوَائِفِ فِي
بورِكْـــــتُ فِي الْقُرْآنِ فَاشْتَمَلَ
ضُيِّعْتُ فِي أَيَّـــــارَ فَانْتُكِبَتْ
إِنِّي لَأَنْتَظِرُ التَّطَهُّـــــــرَ مِنْ
إِنّي اصْطُفيـــتُ لِأَنْ أَكُونَ لَدى
أَنَا مِلْحُ خُبْزِ القابِضيـــنَ على
كَمْ أُمَّةٍ عَاصَرْتُها انْدَثَـــــرَتْ

وَأَهِلَّةً تَعْلُـــــو وَصُلْبَانا ؟!
شَهِـدَتْ حَضاراتٍ وأَزْمَانا ؟!
بِسَمَائِها نُـــــوراً وَإِيمانا
وَاسْمِي السَّلَامُ ثَرىً وَإِنْسَانا
تَوْرَاةً وَإِنْجِيـــــلاً وَقُرْآنا
صَدْرِي وَقَـــدْ قُدِّسْتُ أَدْيَانا
عُلْيا وَبِالْمِعْـــــرَاجِ رِضْوَانا
أَعْلى ثَرىً فَشَرُفْـــتُ أَرْكَانا
مِفْتَاحَ بَيْتِي بَعْـــــدَما عَانَى
طَمَعاً بِهِ وَكَسَـــــوْهُ أَدْرَانا
فِي الدَّارِ تَقْتِيـــــلاً وَطُغْيَانا
وَأَظَلَّنِي صَـــــوْناً وَسُلْوَانا
كَنَفِي مِنَ السُّكَّانِ أَفْنَـــــانا
الْأُرْدُنَّ ، سُورِيّا ، وَلُبْنَـــــانا
رُوحِي لِتُنْكَـــسَ فِي حُزَيْرَانا
رِجْسِ الْيَهُودِ يَثُـــورُ طُوفَانا
مَنْ أَخْلَصُـــــوا للهِ شِرْيَانا
جَمْرِ الرِّبـــــاطِ فعَزَّ ميْدانا
وَبَقِيـــــتُ لِلْإِسْلَامِ عُنْوَانا !